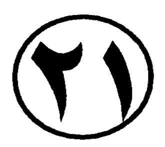
قصص الأنبياء للأطفال

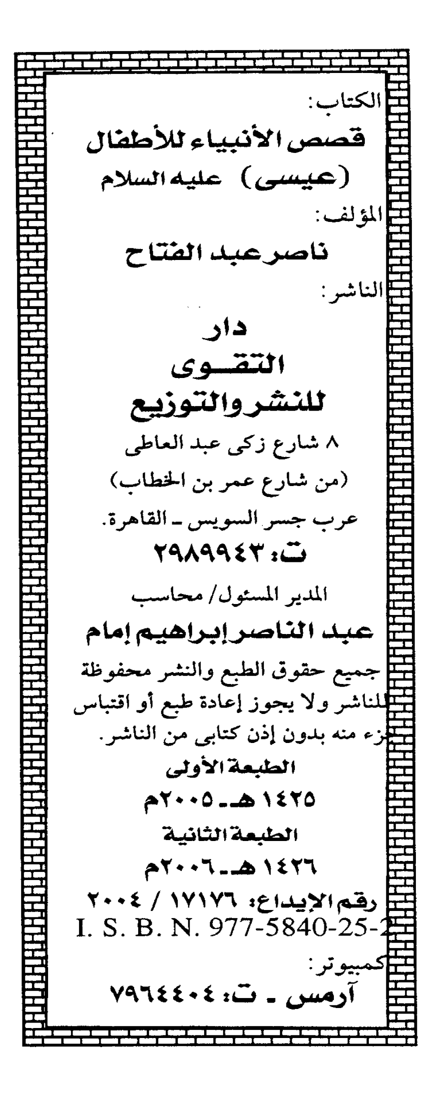


عِيسَى

(عَلَيْهِ السَّلامُ)

بقلم/ ناصر عبد الفتاح

الناشر
دار التقوى
للنشر والتوزيع



الكتاب:

قصص الأنبياء للأطفال

(عيسى) عليه السلام

المؤلف:

ناصر عبد الفتاح

الناشر:

دار

التقــوى

للنشر والتوزيع

٨ شارع زكى عبد العاطى

(من شارع عمر بن الخطاب)

عرب جسر السويس ـ القاهرة.

ت: ٢٩٨٩٩٤٣

المدير المسئول/ محاسب

عبد الناصر إبراهيم إمام

الطبعة الأولى

١٤٢٥ هـ ـ ٢٠٠٥م

الطبعة الثانية

١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٦م

رقم الإيداع: ١٧١٧٦ / ٢٠٠٤

I. S. B. N. 977-5840-25-2

كمبيوتر:

آرمس ـ ت: ٧٩٦٤٤٠٤

حَمَلَتْ زَوْجَةُ عِمْرَانَ ابْنَتَهَا مَرْيَمَ ، وَهِيَ تَكَادُ تَطِيرُ مِنَ الْفَرَحِ ، وَاحْتَضَنَتْهَا فِي شَوْقٍ وَلَهْفَةٍ ، وَقَبَّلَتْهَا ثُم لَفَّتْهَا فِي رِدَاءٍ وَفَتَحْتَ بَابَ بَيْتِهَا ، وَانْدَفَعَتْ إِلَى الشَّارِعِ وَهِيَ عَازِمَةٌ عَلَى أَمْرٍ مَا .

هَرْوَلَت السَّيِّدَةُ فِي خُطوَاتٍ سَرِيعَةٍ ، ثُم توقَّفتْ أمَامَ بيْتِ المقْدسِ ، وَعَلَى الفَورِ احْتَشَدَ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى بَابِ المسْجدِ ، وكَأَنَّهُمْ يَنْتَظِرُونَ قُدُومَ السَّيِّدَةِ مُنْذُ أَمَدٍ بَعِيدٍ ، وَحِينَ رَأَوْا مَرْيَمَ صَاحُوا :

- مَرْحَبًا بِابْنَةِ إِمَامِنَا عِمْرَانَ رَحِمَهُ اللهُ .

وَأَرَادَ كُلُّ وَاحِدٍ أَنْ يَأْخُذَ الطِّفْلَةَ ، لَكِنَّ السَّيِّدَةَ تَقَدَّمتْ مِنْ زَوْجِ أُخْتِهَا زَكَرِيَّا - عَلَيْهِ السَّلامُ - وَأَعْطَتْهُ مَرْيَمَ ، ثُم قَالَتْ :

- هَا هِيَ ابْنَتِي التي نَذَرْتُهَا لِخِدْمَةِ بَيْتِ المقْدِسِ .

وَطَبَعت الأُمُّ قُبْلَةً حَانِيَةً عَلَى جَبِينِ مَرْيَمَ ثُم غَادَرَت المسْجِدَ ، وَهِيَ تَشْعُرُ بِارْتِيَاحٍ شَدِيدٍ ، لأَنَّهَا وَفَّتْ بِنَذْرِهَا ، وَتَركَت ابْنَتَهَا أَمَانَةً فِي بَيْتِ المقْدسِ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهَا ، وَدَعَتِ اللهَ أَنْ يَشْمَلَهَا بِرِعَايَته وَيَحْفَظَهَا وَذُرِّيَّتَهَا مِنْ كَيْدِ الشَّيْطَانِ .

وَصَلَت الأُمُّ إِلَى بَيْتِهَا مُطْمَئِنَّةً ، بَيْنَمَا الْتَفَّ الْعُلَمَاءُ حَوْلَ زَكَرِيَّا وَبَيْنَ يَدَيْه مَرْيَمُ ، وَصَاحُوا : لَنْ تَسْتَأْثِرَ بِمَرْيَمَ وَحْدَكَ .. نُرِيدُ أَنْ نَتَكَفَّلَ بِابْنَةِ إِمَامِنَا .

قَالَ زَكَرِيَّا : أَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكُمْ لأَنَّنِى زَوْجُ خَالتِهَا .

قَالَ العُلَمَاءُ : وَنَحْنُ أَصْحَابُ أَبِيهَا وأَحِبَّاؤُهُ .

وأَجْرَى العُلَمَاءُ قُرْعَةً ، فَفَازَ زَكَرِيَّا بِهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، وأَدْرَكَ العُلَمَاءُ أَنَّهَا إِرَادَةُ اللهِ ، فَأَعْطَوْا نَبِيَّهُمُ الصَّغِيرَةَ مَرْيَمَ ، وَرَضُوا بِكَفَالَتِه لَهَا .

عَاشَت ابْنَةُ عِمْرَانَ فِى بَيْتِ المَقْدِسِ ، وَأَعَدَّ زَكَرِيَّا لَهَا مِحْرَابًا تَتَفَرَّغُ فِيهِ لِلْعِبَادَةِ وَمَنَعَ الدُّخُولَ عَلَيْهَا حَتَّى لاَ يَشْغَلَهَا أَحَدٌ عَنِ التَّسْبِيحِ وَالصَّلاَةِ .

مَكَثَتْ مَرْيَمُ فِى مِحْرَابِهَا وَتَلَقَّتْ أولَ دُرُوسِ الدِّينِ عَلَى يَدَىْ نَبِىِّ اللهِ زَكَرِيَّا ، فَعَلَّمَهَا الصَّلاَةَ وَالصِّيَامَ ، وَأَفْهَمَهَا تَعَالِيمَ التَّوْرَاةِ وَتَرَعْرَعَت الفَتَاةُ فِى تِلْكَ الْبُقْعَةِ الطَّاهِرَةِ ، وَكُلَّمَا تَقَدَّمَ بِهَا الْعُمْرُ ازْدَادَتْ عِلْمًا وَقُرْبًا مِنَ اللهِ تَعَالَى ، حَتَّى نَالَتْ مَنْزِلَةً عَظِيمَةً وَمَكَانَةً كَبِيرَةً ، وَنَادَتْهَا المَلاَئِكَةُ :

﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ✽ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴾

[آل عمران : الآيتان ٤٢ ـ ٤٣]

وَاسْتَأْثَرَتْ مَرْيَمُ بِحُبِّ بَنِى إِسْرَائِيلَ وَضَرَبُوا بِهَا المَثَلَ فِى الزُّهْدِ وَكَثْرَةِ التَّعَبُّدِ ، فَكَانَتْ تَصُومُ النَّهَارَ وَتَقْضِى اللَّيْلَ فِى الصَّلاَةِ وَالتَّسْبِيحِ والاسْتِغْفَارِ .

وَأَدْرَكَ زَكَرِيَّا أَنَّ مَرْيَمَ نَالَتْ دَرَجَةً عَالِيَةً عِنْدَ رَبِّهَا حِينَ وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةً مِنْ ثِمَارِ الْجَنَّةِ .

كَبُرَتْ مَرْيَمُ وَتَرَعْرَعَتْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَتَّى أَصْبَحَتْ شَابَّةً نَاضِجَةً ، وَذَاتَ يَوْمٍ اخْتَلَتْ بِنَفْسِهَا وَمَنَعَتْ النَّاسَ مِنَ الدُّخُولِ عَلَيْهَا ، فَإِذَا بِهَا تَرَى شَابًّا رَائِعَ الْحُسْنِ وَاقِفًا أَمَامَهَا ، وَلاَ أَحَدَ سِوَاهُمَا .

اضْطَّرَبَتِ الْفَتَاةُ ، وَانْتَفَضَ جِسْمُهَا ، وَتَأَجَّجَتْ نَفْسُهَا غَضَبًا ، وَكَسَا الْحَيَاءُ وَجْهَهَا ، إِذْ كَيْفَ يَجْرُؤُ إِنْسَانٌ عَلَى اقْتِحَامِ خَلْوَتِهَا وَتَهْدِيدِ أَمْنِهَا .

خَشِيَتْ مَرْيَمُ أَنْ يَتَعَرَّضَ لَهَا الشَّابُّ بِسُوءٍ ، وَهِيَ الطَّاهِرَةُ الْعَفِيفَةُ ، فَأَخَذَتْ تَذْكُرُ اللهَ فَأَنْزَلَ عَلَى قَلْبِهَا السَّكِينَةَ .

اسْتَجْمَعَتْ مَرْيَمُ شَجَاعَتَهَا ، وَصَاحَتْ : ﴿ **إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا** ﴾ [مريم : الآية ١٨]

كَشَفَ الشَّابُّ عَنْ شَخْصِيَّتِهِ فَأَخْبَرَ ابْنَةَ عِمْرَانَ أَنهُ الرُّوحُ الأَمِينُ جِبْرِيلُ ، وَقَالَ : ﴿ **إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا** ﴾ [مريم : آية ١٩]

اهْتَزَّتْ مَرْيَمُ رُعْبًا وَخَجَلاً ، وَسَيْطَرَ عَلَيْهَا الْقَلَقُ ، وَغَرِقَتْ فِي بَحْرٍ مِنَ الْحَيْرَةِ ، إِذْ كَيْفَ تَلِدُ غُلامًا دُونَ أَنْ تَتَزَوَّجَ ؟

هَدَأَتْ نَفْسُ الْفَتَاةِ الْمُضْطَّرِبَةِ ، وَعَادَتْ إِلَى رُشْدِهَا وَسَأَلَتْ جِبْرِيلَ :

كَيْفَ أَلِدُ وَلاَ زَوْجَ لِي ، وَلَمْ أَكُ مُذْنِبَةً وَلَمْ أَفْعَلْ فَاحِشَةً قطُّ . .

﴿ **أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا** ﴾

[مريم : آية ٢٠]

طَمْأنَ جِبْرِيلُ ابْنَةَ عِمْرَانَ وَهَدَّأَ مِنْ رَوْعِهَا وَأَخْبَرَهَا أَنَّ ذَلِكَ شَيْءٌ يَسِيرٌ هَيِّنٌ عَلَى اللهِ لأَنَّه أَرَادَ أَنْ يَجْعَلَ مِنِ ابْنِ مَرْيَمَ آيَةً لِلنَّاسِ ، تَدُلُّ عَلَى قُدْرَتِهِ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِلاَ أَبٍ وَلاَ أُمٍّ ، وَكَمَا خَلَقَ حَوَاءَ بِلاَ أُمٍّ .

قَالَ جِبْرِيلُ : ﴿ **كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا** ﴾

[مريم : آية ٢١]

وَأَضَافَ جِبْرِيلُ : ﴿ **كَذَٰلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴾

[آل عمران : الآية ٤٧]

وَبَشَّرَ جِبْرِيلُ مَرْيَمَ بِأَنْ ابْنَهَا عِيسَى سَيَبْعَثُهُ اللهُ رَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ ، وَيُنَزِّلُ عَلَيْهِ كِتَابَ الإِنْجِيلِ فِيهِ حِكَمٌ وَمَوَاعِظ لِقَومِهِ ، فَقَالَ : ﴿ **وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ * وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ** ﴾

[آل عمران : الآيتان ٤٨ ـ ٤٩]

نَفَخَ جِبْرِيلُ فِي رِدَاءِ مَرْيَمَ ، ثُمَّ انْصَرَفَ فِي الحَالِ بَعْدَ أَنْ أَدَّى رِسَالَةَ رَبِّه ، لَبِثَتْ مَرْيَمُ فِي مَكَانِهَا ذَاهِلَةً ، وَكَأَنَّهَا فِي حُلْمٍ عَجِيبٍ ، وَأَفَاقَتْ مِنْ ذُهُولِهَا وَتَلَفَّتَتْ حَوْلَهَا تَبْحَثُ عَنِ المَلَكِ فَلَمْ تَجِدْهُ .

اشْتَدَّ الحُزْنُ بِمَرْيَمَ وَدَارَتْ فِي رَأْسِهَا خَوَاطِرُ عَدِيدَةٌ . . فَمَاذَا

سَيَقُولُ بنُو إسْرائيلَ حينَ يَكْتَشِفُونَ حَمْلَ ابْنَة إمَامِهِمْ العَذْرَاء الطَّاهِرَة التى وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِعبَادَةِ رَبِّهَا ورَفَضَتْ أَنْ تَتَزَوَّجَ كَغَيْرِهَا منَ النِّسَاءِ؟

سَلَّمَتْ مَرْيَمُ أَمْرَهَا لله ، وَلجَأَتْ إلَيْهِ مُسْتَغْفِرَةً وَاسْتَغْرَقَتْ فِى الصَّلاَة.

اعْتَزَلَتْ مَرْيَمُ النَاسَ ، وابْتَعَدَتْ عَنْ أَعْيُنِهِمْ حَتَّى لاَ يَكْتَشِفُوا أَمْرَهَا فَيَتَعَرَضُوا لَهَا بالإيذاء.

مَرَّتْ فَتْرَةُ الحَمْلِ سَرِيعًا ، وَأَقْبَلَتْ اللَّحْظَةُ الحَاسِمَةُ ، وَبَدأَتْ مَرْيَمُ تَشْعُرُ بِاقْتِرَابِ الوَضْعِ ، فَلَجَأتْ إلَى نَخْلَةٍ يَابِسَةٍ وأَسْنَدَتْ جِسْمَهَا المُتْعبَ إلَيْهاَ ، ولَمْ تَجِدْ مَنْ يُسَاعِدُهَا فِى مِحْنَتِهَا .. إنَّهَا وَحِيدة فِى الصَّحْرَاءِ ، فلاَ أُمٌّ تَحْنُو عَلَيْهَا ، وَلاَ جَارَةَ تُخَفِّفُ عَنْهَا.

تذَكَّرتْ مَرْيَمُ نداءَ المَلائِكَة :

﴿ إنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾ [آل عمران : الآية ٤٥]

ووَضَعَتْ مَرْيَمُ الطَّاهِرَةُ طِفْلَهَا عِيسَى ، وَأَحَسَّتْ كَأَنَّ الدُّنْيَا تَدُورُ بِهَا .. أَتَفْرَحُ بوَلِيدِهَا أَمْ تَحْزَنُ .. وَمَاذَا تَفْعَلُ إنْ رَآهَا أَحَدٌ .. شَعَرَتْ مَرْيَمُ بِالأَسَى وَصَاحَتْ :

﴿ يَا لَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ﴾ [مريم : الآية ٢٣]

وَاسْتَوْلَى الحُزْنُ عَلَى ابْنَة عِمْرَانَ ، وَاشْتَدَّ بِهَا الجُوعُ وَالْعَطَشُ . . لَكِنْ أَيْنَ الطَّعَامُ وَتَحْتَهَا صَحْرَاءُ مُقْفِرَةٌ وَفَوْقَهَا نَخْلَةٌ فَقِيرَةٌ يَابِسَةٌ ؟ !

سَرَحَتْ مَرْيَمُ قَلِيلاً ، وَأَفَاقَتْ عَلَى صَوْتٍ يُنَادِيهَا :

اصْبِرِي يَا مَرْيَمُ وَلاَ تَحْزَنِي فَقَدْ أَجْرَى اللهُ تَحْتَكِ جَدْوَلَ مَاءٍ وَمَلأَ النَّخْلَةَ اليَابِسَةَ بِالثِّمَارِ فَاطْمَئِنِي ﴿ **وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا * فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنسِيًّا** ﴾

[مريم : الآيتان ٢٣-٢٦]

نَظَرَت مَرْيَمُ تَحْتَهَا ، فَرَأَتْ جَدْوَلاً يَشُقُّ الصَّحْرَاءَ بِمِيَاهِهِ الصَّافِيَةِ وَرَفَعَتْ رَأْسَهَا فَرَأَتْ ثِمَارَ الرُّطَبِ تَتَدَلَّى مِنَ النَّخْلَةِ .

انْهَمَرَت الدُّمُوعُ مِنْ عَيْنَي مَرْيَمَ ، وَشَكَرَتْ رَبَّهَا عَلَى رَحْمَتِهِ وَمَدَّتْ يَدَهَا نَحْوَ جِذْعِ النَّخْلَةِ ، وَمَا إِن لَمَسَتْهُ حَتَّى تَسَاقَطَ الرُّطَبُ عَلَى الأَرْضِ .

أَكَلَتْ مَرْيَمُ حَتَّى شَبِعَتْ ثُم رَوَتْ ظَمَأَهَا وَأَرْضَعَتْ وَلِيدَهَا .

حَمَلَتْ مَرْيَمُ طِفْلَهَا وَعَادَتْ إِلَى قَوْمِهَا ، وَمَا إِنْ وَقَعَ بَصَرُ الْقَوْمِ عَلَى عِيسَى حَتَّى أَصَابَتْهُمْ صَدْمَةٌ شَدِيدَةٌ وَالْتَفُّوا حَوْلَ الطِّفْلِ يَتَأَمَّلُونَهُ بِذُهُولٍ . . وَظَنُّوا أَنَّ مَرْيَمَ ارْتَكَبَتْ إِثْمًا عَظِيمًا وَهَمَسَ بَعْضُهُمْ غَيْرَ مُصَدِّقٍ : مَرْيَمُ العَفِيفَةُ الطَّاهِرَةُ ابْنَةُ إِمَامِنَا عِمْرَانَ تَفْعَلُ ذَلِكَ ؟ ! اقْتَرَبَ الْقَوْمُ مِن مَرْيَمَ وَتَسَاءَلُوا : مَنْ هَذَا الطِّفْلُ ؟

نَظَرَتْ مَرْيَمُ إلَى ابْنِهَا بِحَنَانٍ وَضَمَّتهُ إلَى صَدْرِهَا فِى رِفْقٍ وَقَالَتْ:

﴿ **إنِّى نَذَرْتُ للرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إنسيًّا** ﴾ [مريم: الآية ٢٦]

صَاحَ الْقَوْمُ: لَقَدْ أَتيت أَمْرًا عَظيمًا مُنْكَرًا.. مَا كَانَ أَبُوكِ سيئَ الخُلُقِ، وَلَمْ تَكُنْ أُمُّك فَاسقةً... أَخْبرينَا الحَقيقَةَ..

أَشَارَتْ مَرْيَمُ إلَى عيسَى كَىْ يَسْأَلُوهُ ليَعْرفُوا منْهُ الحْقيقةَ!

تَعَجَّبَ الْقَومُ وَظَنُّوا أَنَّ مَرْيَمَ تَهْزَأُ بِهِمْ، فَصَرَخُوا فِى وَجْهِهَا:

كَيْفَ نُكَلِّمُ طفْلاً رَضيعًا؟!

وَحَدَثَت المعْجزَةُ، وَنَطَقَ الرَّضيعُ قَائلاً:

﴿ **إنِّى عَبْدُ اللَّه آتَانِىَ الْكتَابَ وَجَعَلَنِى نَبيًّا * وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِى بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا * وَبَرًّا بِوَالِدَتِى وَلَمْ يَجْعَلْنِى جَبَّارًا شَقِيًّا * وَالسَّلامُ عَلَىَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا** ﴾ [مريم: الآيات ٣٠-٣٣]

الْتفَّ الْقَومُ حَوْلَ عيسَى، وَنَظَرُوا إلَيْهِ فِى ذُهُول، وَأَيْقَنُوا أَنَّهُمْ أَمَامَ مُعْجزَةٍ بَاهرَةٍ منْ عنْد الله.

فَهَا هُوَ الرَّضيعُ يَنْطقُ وَيُعْلِنُ بَرَاءَةَ أُمِّه من الذَّنْبِ الذى اتَّهَمَهَا به بَنُو إسْرَائيلَ.

نَدمَ مُعظَمُ القَوْمِ عَلَى خَطَئِهمْ فِى حَقِّ مَرْيَم، وَاعْتَذَرُوا إلَيْهَا بَيْنَمَا أَضْمَرَ آخَرُونَ الشَّرَّ لعيسَى، وَاشْتَعَلَتْ نيرَانُ الحْقدِ فِى صُدُورِهِمْ.

شَبَّ عِيسَى وَتَرَعْرَعَ فِى كَنَفِ أُمِّهِ ، وَأَخَذَتْ تَحُوطُهُ بِحَنَانِهَا وَرِعَايَتِهَا حَتَّى صَارَ صَبِيًّا .

وَتَلَقَّى الفَتَى أَوَّلَ دُرُوسِهِ فِى الإِيمَانِ وَمَبَادِىءِ الدِّينِ عَلَى يَدَىْ أُمِّهِ العَابِدَةِ ، فَتَعَلَّمَ الصَّلاَةَ والصِّيَامَ والتَّوْرَاةَ .

وَعَكَفَ فِى بَيْتِ المَقْدِسِ يَتَلَقَّى دُرُوسَ الدِّينِ عَلَى أَيْدِى عُلَمَاءِ الْيَهُودِ ، فَوَجَدَ اخْتِلاَفًا كَبِيرًا فِى أَحَادِيثِهِمْ ، وَتَفَرُّقًا مُلْحُوظًا بَيْنَهُمْ وَرَآهُمْ يَنْقَسِمُونَ إِلَى عِدَّةِ فِرَقٍ ، وَكُلٌّ فِرْقَةٍ لَهَا شَرِيعَتُهَا وَمَنْهَجُهَا .

تَأَلَّمَ عِيسَى حِينَ رَأَى كَهَنَةَ الْيَهُودِ يُحَرِّفُونَ التَّوْرَاةَ فَيَحْذِفُونَ نُصُوصًا مِنْهَا ، وَيُضِيفُونَ إِلَيْهَا مَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ أَجْلِ المَالِ وَالثَّرْوَةِ .

وَازْدَادَ حُزْنُهُ حِينَ رَأَى الْيَهُودَ يُفْسِدُونَ فِى الأَرْضِ ، فَيَقْتُلُونَ وَيَسْرِقُونَ وَيَنْهَبُونَ وَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى وَيَكْنِزُونَ الذَّهَبَ والفِضَّةَ ، وَاجَهَ عِيسَى الْكَهَنَةَ وَالْعُلَمَاءَ وَدَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ فِرَقِهِمْ وَاتِّبَاعِ التَّوْرَاةِ التى أُنْزِلَتْ عَلَى مُوسَى عليه السلامُ ، وَتَحَمَّلَ النبىُّ اضْطِهَادَ الْكَهَنَةِ وَقَسْوَتَهُمْ .

وَحِينَ بَلَغَ عِيسَى مَبْلَغَ الشَّبَابِ هَبَطَ عَلَيْهِ الوَحْىُ ، وَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْهِ كِتَابَ الإِنْجِيلِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ الصَّحِيحَةِ الخَالِيَةِ

مِنَ التَّحْرِيفِ ، وَفِيهِ المَوَاعِظُ والحِكَمُ لِبَنِى إِسْرَائِيلَ .

حَمَلَ نَبِىُّ اللهِ عِيسَى كِتابَهُ ، وَأَخَذَ يَنْشُرُ رِسَالَةَ رَبِّهِ ، وَيَدْعُو قَوْمَهُ إِلَى الدِّينِ الجَدِيدِ وَيَحُثُّهُمْ عَلَى الأَخلاقِ الفَاضِلَةِ .

فقَالَ : ﴿ **يَا بَنِى إِسْرَائِيلَ إِنِّى رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنْ بَعْدِى اسْمُهُ أَحْمَدُ** ﴾

[الصف : الآية ٦]

﴿ **وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ * إِنَّ اللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ** ﴾ [آل عمران : الآيتان ٥٠ ـ ٥١]

وَحَذَّرَ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السلامُ ـ قَوْمَهُ مِنْ حُبِّ الدنْيَا الذِى أَنْسَاهُمْ دِينَهُمْ ، فقَالَ :

- لاَ يَسْتَقِيمُ حُبُّ الدنْيَا وَحُبُّ الآخِرَةِ فِى قَلْبِ مُؤْمِنٍ ، كَمَا لاَ يَسْتَقِيمُ الماءُ وَالنَّارُ فِى إِنَاءٍ .
- طَالِبُ الدنْيَا مِثْلُ شَارِبِ مَاءِ البَحْرِ ، كُلَّمَا ازْدَادَ شُرْبًا ازْدَادَ عَطَشًا حَتَّى يَقْتُلَهُ .

وَحَثَّ عِيسَى ـ عَلَيْهِ السَّلاَمُ ـ قَوْمَهُ عَلَى ذِكْرِ اللهِ ، فقَالَ :

« لاَ تُكْثِرُوا الحدِيثَ بِغَيْرِ اللهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ ، فَإِنَّ القَلْبَ القَاسِى بَعِيدٌ عَنِ اللهِ ، وَلَكِنْ لاَ تَعْلَمُونَ » .

وَحَضَّ بَنِى إِسْرَائِيلَ عَلَى العَمَلِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَى اللهِ ، فَقَالَ :

● اعْمَلُوا لله وَلاَ تَعْمَلُوا لبُطُونكُمْ، انْظُرُوا إِلَى هَذهِ الطَّيْرِ تَغْدُو وَتَرُوحُ وَلاَ تَحْرُثُ وَلاَ تَحْصُدُ وَاللهُ يرْزُقُهَا، فَإِنْ قُلْتُمْ نَحْنُ أَعْظَمُ بُطُونًا منَ الطَّيْرِ، فَانْظُروا إِلَى هَذه الأَبَاقير منَ الوُحُوشِ والحُمُرِ، فإِنَّهَا تَغْدُو وتَرُوحُ ولاَ تَحْرُثُ ولاَ تَحْصُدُ وَاللهُ يرْزُقُهَا.

وكَشَفَ عيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ زَيْفَ كَهَنَة اليَهُودِ، وبَيَّن للناسِ أَنَّ التَّوْراة التي بَيْنَ أَيْديهِمْ غَيْرُ صَحيحَة، لأنَّ الكَهَنَةَ لَعبُوا فيهَا بالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْديلِ، فَأَحَلُّوا الْحرَامَ وحَرَّمُوا الحَلاَلَ.

آمَنَ عَدَدٌ كَبيرٌ منَ اليَهُود بعيسَى وَاتَّبَعُوا دينَهُ، بَيْنَمَا اغْتَاظَ كَهَنَةُ الْيَهُودِ وَاشْتَعَلَ حِقْدُهُمْ عَلَى نَبيِّ الله، فَشَنُّوا حَرْبًا قَاسيَةً عَلَيْه وَاتَّهَمُوهُ بالْكَذب، وتَحَدَّوْهُ أَنْ يَأْتِيَ لَهُمْ بمُعْجِزاتٍ تُثْبتُ صدْقَ نُبوَّته وأَيَّدَ اللهُ تَعَالَى نَبيَّهُ بالْمُعْجزَات البَاهرَة، فَوَهَبَهُ مُعْجزَةَ خَلْقِ الطَّيْرِ، فَكَانَ عيسَى يَصْنَعُ طُيُوراً منَ الطِّين، ثُم ينْفُخُ فيهَا فَتَصير طَيْراً حَقيقيًّا بإِذْن الله.

وَصَارَ عيسَى يُبْرِئُ الأَعْمَى، وَيَرُدُّ إِلَيْه بَصَرَهُ، وَيشْفِي الأبرصَ بإِذْن الله.

وَوَهَبَهُ اللهُ مُعْجزَةَ الإِخْبَارِ بِالْغَيْبِ، فَكَانَ يُخْبِرُ قَوْمَهُ بِمَا يَأْكُلُونَ وَمَا يَدَّخرونَ في بُيُوتِهِمْ.

آمَنَ كَثيرٌ منْ بَني إِسْرَائيلَ بعيسَى - عَلَيْهِ السَّلاَمُ - وَاعْتَنقُوا

دينَهُ، بَيْنَمَا ازْدَادَ الكَهَنَةُ غُرُوراً وكُفْراً، واتَّهَمُوا النبيَّ بِالسِّحْرِ، وتآمَرُوا عَلَيْه.

الْتفَّ المؤْمنُونَ حَوْلَ عيسَى ـ عليه السلامُ ـ وتَشَرَّبُوا دَعْوَتهُ، ورافَقَهُ عَدَدٌ كَبيرٌ منْهُمْ في كُلِّ مَكَانٍ، وأَطْلَق عَلَيْهِمُ الحْوارِيِّينَ، وَعُرِفَ عيسَى بالمسيح، لأَنَّه كَانَ يَرْتَحِلُ سَائحًا في أَرْضِ اللهِ كَيْ يَدْعُوَ الناسَ وَيُرْشِدَهُمْ إِلَى الْحقِّ.

وَخَرَجَ نَبيُّ اللهِ عيسَى يَوْمًا إِلَى الْقُرَى المجَاوِرَةِ منْ أَجْلِ دَعْوَةِ أَهْلِهَا، وَحَوْلَهُ الحَوَارِيُّونَ يُسَانِدُونَهُ ويُخَفِّفُونَ عَنْهُ مُشَقَّةَ الطَّرِيقِ، وَقَدْ تَعَاهَدُوا عَلَى نُصْرَةِ نَبِيِّهِمْ حِينَ سَأَلَهُمْ: ﴿ **مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ** ﴾

[آل عمران: الآية ٥٢]

قَالَ الحَوَارِيُّونَ: ﴿ **نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ * رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ** ﴾

[آل عمران: الآيتان ٥٢ ـ ٥٣]

سَارَ النَّبيُّ وأصحَابُهُ عَلَى رِمَالِ الصَّحْرَاءِ الملْتهبَةِ، وَقَدِ اشْتَدَّ بِهِمُ الْعَطَشُ، وَأَجْهَدَهُمُ السَّيْرُ، وَكَانُوا صَائمينَ.

طَمِعَ الحَوَاريونَ فِي كَرَمِ اللهِ تَعَالَى، فَسأَلُوا نَبيَّهُمْ أَنْ يَدْعُو رَبَّهُ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ مَائدَةً عَامرَةً بأَطْعمَةِ الجنَّةِ الشَّهيَّةِ كَيْ يُفْطِرُوا منْهَا، خَشِي عيسَى أَنْ يَغْضَبَ اللهُ منْ قوْمِه فوَعَظَهُمْ قَائلاً:

﴿ **اتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ** ﴾ [المائدة: الآية ١١٢]

قَالُوا: ﴿ **نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ** ﴾ [المائدة: الآية ١١٣]

وَلَمْ يَجِد النبيُّ بُدًّا مِنْ تَحْقِيقِ رَغْبَةِ قَوْمِهِ أَمَامَ إِصْرَارِهِم الشَّدِيد ، فَلَجَأَ إِلَى رَبِّه وَدَعَاهُ:

﴿ **اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِّنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِّنكَ وَارْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ** ﴾ [المائدة: الآية ١١٤]

وَاسْتَجَابَ اللَّهُ دُعَاءَ نَبِيِّه وَأَوْحَى إِلَيْه:

﴿ **قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَّا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ [المائدة: الآية ١١٥]

وَرَأَى القَوْمُ مَائِدَةً عَظِيمَةً تَهْبِطُ مِنَ السَّمَاءِ ، وَتَقِفُ أَمَامَ نَبِيِّ اللهِ عِيسَى وَفَوْقَهَا أَصْنَافٌ مُتَنَوِّعَةٌ مِنْ طَعَامِ الجَنَّةِ.

صَاحَ عِيسَى: بِسْمِ اللهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ.

وَأَقْبَلَ الْقَومُ عَلَى طَعَامِ المائِدَةِ ، فَأَكَلُوا وَشَرِبُوا فِي نَهَمٍ شَدِيدٍ، وَحَمِدوا الله عَلَى كَرَمِه وإِحْسَانِه.

اجْتَمَعَ كَهَنَةُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكُفَّارُ اليَهُود لبَحْث أَمْرِ عِيسَى الذى انْتَشَرَ دِينُهُ وَكَثُرَ أَتْبَاعُهُ ، وَبَاتَ يُهَدِّدُ نُفُوذَهُمْ وَثَرْوَتَهُمْ التي جَمَعُوهَا بِالاحْتِيال عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ.

اسْتَخْدَمَ الكُفَّارُ سلاحَ الإشَاعَات وَاتَّهَمُوا عيسَى بالسِّحْرِ حَتَّى يُشَوِّهُوا صُورتَهُ أَمَامَ قَوْمه ، لَكنَّ مُحَاوَلاتِهِمْ بَاءَتْ بالفَشَلِ.

دبَّرَ العُصَاةُ مُؤَامَرَةً لَئِيمَةً ، وَذَهَبَ وَفْدٌ مِنْهُمْ إِلَى حَاكِمِ البِلاَدِ وَقَالُوا لَهُ:

عِيسَى يُثِيرُ الشَّعْبَ ، وَيُدَبِّرُ الفِتَنَ وَالمؤَامَرَاتِ ضِدَّكَ... إِنَّهُ يَطُوفُ القُرَىَ وَالْبِلاَدَ لِيَكْسبَ تَأْيِيدَ الشَّعْبِ لَهُ.

ثَارَ الحَاكِمُ وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ ، فَأَمَرَ بِقَتْلِ عِيسَى جَزاءً لَهُ عَلَى فَعْلَته. انْطَلَقَ جنُودُ الحاكِمِ وَحَاصَرُوا البَيْتَ الذِى يُقِيمُ فِيهِ عِيسَى مَعَ حَوَارِيِّيهِ ، وَصَدَرَ الأَمْرُ الإِلَهِيُّ:

﴿ يَا عِيسَىٰ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴾ [آل عمران: الآية ٥٥]

وَحَدَثَت المعْجِزَةُ الْكُبْرَى ، فَرَفَعَ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ ، وأَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى أَحَدِ الحَوَارِيِّينَ.

اقْتَحَمَ جُنُودُ الملك الْبَيتَ ، وَأَخَذُوا صَاحِبَ النبيِّ وَصَلَبُوه عَلَى جِذْعِ النَّخْلَة ، وَهُمْ يَظُنُّونَ أَنَّهُ المسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ، وَصَاحُوا فِي غُرُور: **﴿ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ ﴾**

[النساء: الآية ١٥٧]

لَكنَّ اللهَ تَعَالَى رَدَّ عَلَيْهِمْ:

﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلاَّ اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴾ [النساء: الآيتان ١٥٧-١٥٨]

وَاخْتَلَفَ أَتْبَاعُ المسيح مِنْ بَعْده ، فَادَّعَى بَعْضُهُمْ أَنَّ المسيحَ إِلهٌ ، وَادَّعَى آخرونَ أَنَّهُ وأمَّه إلهان ، واعْتَقَدَ آخَرُونَ أنهُ ابنُ الله.

وَرَدَّ اللهُ تعالَى عَلَيْهِمْ قَائِلاً: ﴿ إِنْ هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ [الزخرف: الآية ٥٩]

وَقَالَ: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ ﴾. [المائدة: الآية ٧٢]

وَقَالَ: ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ [المائدة: الآية ٧٥]

فَلاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، وَلاَ رَبَّ سِوَاهُ.

وَارْتَدَّ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى الضَّلاَلِ ، وَعَاثُوا في الأَرْضِ فَسَاداً حَتَّى أَرْسَلَ اللهُ تَعَالَى خَاتَمَ الأنْبِيَاءِ والمرْسَلِينَ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ بَشِيراً وَنَذِيراً للناسِ كَافَّةً.

• • •